مجلة مجمع اللغة العربية

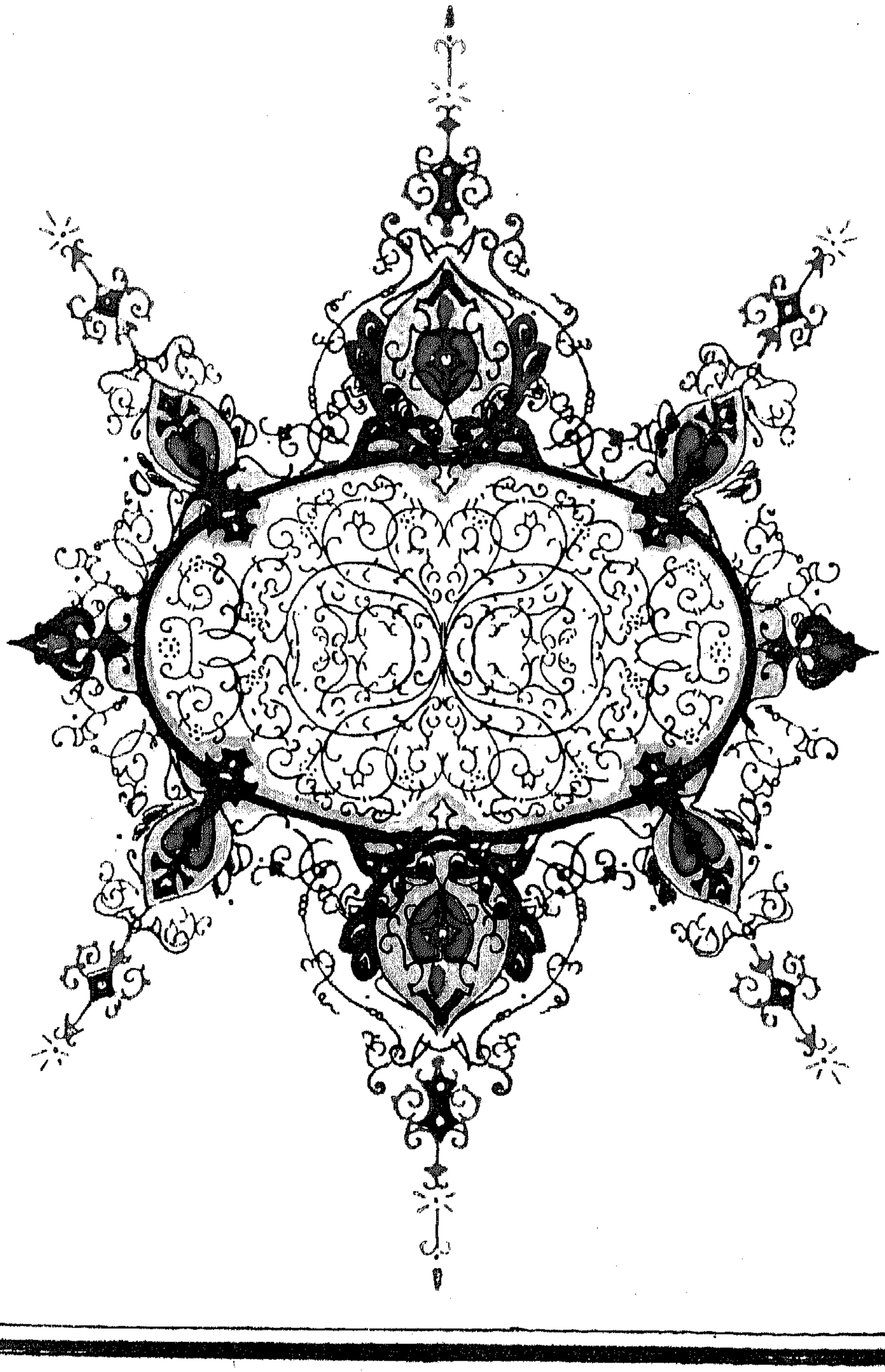

الجزء الحادي والستون
ربيع الأول ١٤٠٨هـ
نوفمبر ١٩٨٧م

دراسات فى النظام الصوتى الصرفى

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

تنبه نفر من علماء العربية القدامى فردوا كثيراً من المواد اللغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة ، والتى اشتقت منها تلك المواد ، وكان من هؤلاء ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فى كتابه (مقاييس اللغة[1]) حيث يقول فى مقدمته : « وقد ألف الناس فى جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن قياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأصول ، والذى أومأنا إليه باب من العلم جليل ، وله خطر عظيم ، وقد صدرنا كل فصل بأصله الذى يتفرع منه مسائله .. » .

على أن العربى كان يحسّ من دخيلة نفسه وقوة طبعه ، ولطف حسّه ، أن الاشتقاق قانون نفسى مطرد لا يتغير ، لا يحيدعنه ، ولا ينفر منه .

وورد فى كتاب الترقيص عن أبى حاتم « قال : سألت الأصمعى : لم سُمّيت مِنًى مِنى ؟ قال : لا أدرى . فلقيت أبا عبيدة فسألته فقال : لم أكن مع آدم حين علمه الله الأسماء فأسأله عن اشتقاق الأسماء ، فأتيت أبا زيد فسألته فقال : سميت مِنىً لما يُمْنَى فيها من الدماء[2] » .

وبشفافية الحسّ العربى رفض أعرابى اشتقاق (مُسْحَب) اسم مفعول من (سَحب) الثلاثى المتعدى بدلا من (مَسْحوب) الذى هو الأصل والقياس ، وذلك حين ارتاب أبو عمر الجرمى فى فصاحة أعرابى ، فأراد امتحانه ، وألقى عليه بيتاً هو .

كم رأينا من (مُسْحَب) مُسْلحبٍّ صـــاد لحمَ النُّسور والعِقبانِ

---

(١) تطلق المقاييس ، ويراد بها الاشتقاق الأكبر .

(٢) المزهر ١ / ٣٥٣ .

فأفكر الأعرابى فيه ، ثم قال : رُدَّ علىّ ذكر (المسحوب) حتى قالها مرات ، فعلمت أن فصاحته باقية .

لكن جاءت بعد ذلك (مدرسة الاشتقاقيين) حيث خرجت بالاشتقاق عن حدّه وطبعه ، وزادوا فيه تشويشاً وتهويماً ، فقالوا : إن (الرَّحْل) مشتق من الرحيل ، و (الخروف) منسوب إلى موعده فى الخريف ، و (الغراب) . من الغربة والإيذان بها حيث يعيش هذا الطائر ، و (الفرسَ) من الافتراس ، و (الحمار) من لونه الأَحمر ، و (الخيل) مشتق من الخيلاء[1] . وغاب عنهم أن المعانى الحسية أسبق فى الوجود ، وأنها أصل الاشتقاق والمعنوى فرع للحسّى . (فالجميل والجمال) أصلهما من (الجمل) عند العرب ، وكانوا يرونه أجمل الحيوانات ، كما اعتبروا أى شبه بين الإنسان والحيوان فى الصبر والاحتمال هو (جمال)أيضاً ، والله تعالى يقول : « فصبر جميل » .

و (البطـلان) التى منها الباطـل ضد الحق أَصلها من كلمة (الباطل) بمعنى إبليس ، وقد ورد هذا المعنى الأَصلى فى قول الله تعالى : « وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ[2] »

(أ) الأصل الاشتقاقى :

يرى بعض العلماء أَن الأَصل هو الثنائى فرمى : أَصلها الثنائى (رَمْ) حرك حرفه الثانى بفتحة مشبعة علامتها ألف ، فلامه ليست حرفاً ، بل إطالة أَو إشباع الفتحة السابقة . والمثال (وثب) أَصله الثنائى (ثبِ) زيدت فيه الواو تتويجاً . والأَجوف (قام) أَصله (قَمْ) أَشبعت حركة حرفه الأَول . أَما المضاعف فهو مركب من حرفين مثل : لعْ لعْ ، مرْ مرْ ، فهو عبارة عن ثنائيين مكررين . ومن العلماء الذين يرون ثنائية الأَصل ابن فارس والشدياق وجرجى زيدان والكرملى والدومنكى ، ولهم حجج كثيرة منها :

أن أُصول الكلمات السامية كانت

---

(١) انظر فى ذلك قصة طريفة لأبى عمرو بن العلاء فى : المزهر ١ / ٣٥٣ (ط دار إحياء الكتب العربية)

(٢) سورة سبأ ، آية ٤٩ ، وفى الكشاف للزمخشرى (٣ – ٤٦٧) طبعة الاستقامة ١٩٥٣ م « الباطل إبليس لعنه الله والمعنى : ما ينشىء خلقا ولا يعيده وقال الزجاج : أى شىء ينشىء إبليس ويعيده ؟ فجعله للاستفهام » .

مؤلفة من حرفين اثنين ، ثم زيد فيما بعد على كل أصل منها حرف ثالث ، وقالوا : بأن الثنائيات صورة بعيدة مغرقة فى القدم ، ودليل ذلك التدرج الطبيعى ، والانتقال من هذه المرحلة إلى ما استقرت عليه الكلمات من ثلاثية الأصوات .

ويرى معسكر آخر أن أصل اللغة يرجع إلى الثلاثى ، وأنه لم يتطور عن غيره ، ولهم أدلتهم أيضاً ، على أنه يجب أن نشير إلى أن النظرية الثنائية مازالت فرضاً واحتمالا ، وأنها لم ترق إلى مجال القواعد الثابتة ، كما أنه اعترض على النظرية الثلاثية بأنها تنفى أصالة ماعدا الثلاثى ، وهم مع ذلك يلجئون فى إثبات نظريتهم إلى التأويل .

وعلى مذهب القائلين بأصالة الثنائى وتنميته لما فوقه إلى الثلاثى عن طريق تضعيف الحرف الثانى أو إضافة حرف علة إلى أول المادة الثنائية أو فى وسطها أو فى آخرها ، يرون أن اللغة وجدت فى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت تبدل من أحد الضعفين حرفا من حروف العلة : انظرها يلى :

كعّ تطورت إلى كاع .

ضرّ يضرّ ضرّا تطورت ضار يضير ضيْرا

ذم تطورت إلى ذام .

طبّ ، غمّ تطورت إلى طاب ، غام .

مدّ تطورت إلى ماد .

صرّ (الصوت) تطورت إلى صار .

حفّ تطورت إلى حاف .

غبّ تطورت إلى غاب .

طمّ يطمّ طموما تطورت إلى طما يطموطموا

هَمّ تطورت إلى همى .

محق تطورت إلى محا .

حمّ (الحديد) تطورت إلى حمى

شجب تطورت إلى شجا (أحزن) .

هذا وقد يبدل أحد الضعفين نوناً مثل :

احرجّم تطورت إلى احرنجم .

اظّلم تطورت إلى انظلم [1] .

وأبدلت نوناً ، لأن النون حرف موسيقى أثناء تطورها فى المضعف ثقلا فراحت محبب فى اللغة ، ولهذا يرى بعض الباحثين [2]

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٩ - . مصطفى جواد .
(٢) المرجع السابق .

أن وزن (افَّعَل) هو الأصل ثم تطور إلى (انفعل) فهى صورة جديدة للمطاوعة وهى فرع عن (افَّعل وافتعل) .

فالتضعيف هو الوسيلة الأولى لتنمية اللغة ونقلها من الثنائية إلى الثلاثية ، فالمضعف تولد منه على طريق الإبدال : الأجوف ثم الناقص وكأنه نوع من القطعة[1] (الترخيم) ثم المثال ثم السالم ، فالسالم جاء آخرا ؛ لأن زيادة حرف على المضعف أليق بحكمة الواضع فى التفنن فى نقصه ، إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه العدول من الكمال إلى النقصان . والدليل على أصالة المضعف قراءة أبى حيوة (وعزنى فى الخطاب) (٢٣ سورة : ص) قال ابن جنى فى المحتسب (٢ / ٢٣٢ دار إحياء الكتب العربية تحقيق الأستاذ النجدى والدكتور عبد الفتاح شلبى) أصله :عَزَّنى غير أنه خفف الكلمة بحذف الزاى الثانية أو الأولى كما حكاه ابن الأعرابى من قولهم ، ظَنْت ذاك : أى ظننت ، هذا ويمكن لظاهرة المخالفة أن تفسر الصلة بين المضعف وبين الأجوف والناقص[2]

الجبّ تطورت إلى الجوْب (القطع

دسّس تطورت إلى دسّى (وقد خاب من دساها) .

تسرر تطورت إلى تسرّى .

(وليملل الذى عليه الحق) تطور إلى (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) .

فهذه صور للتطور ورسوم للارتقاء .

على أن حدود التطور لم تقتصر على الأفعال واشتقاقها بعضها من بعض ، بل نرى من (الأفعال) ما تطور إلى (حرف) خالص انظر مثلا :

البدوىُّ عَلَى الجبَلَ - فهى فعل ومع كثرة الاستعمال والتداول أصبحنا نقول[3] : البدوىُّ على الجبلِ فهى نفسها حرف جر ، والعلاقة بين المثالين واضحة مدلولا واستعمالا

كما كان الأصل الاشتقاقى محل خلاف بين البصريين والكوفيين ، فيرى البصريون

---

(١) ثنائية الأصول اللغوية ١٢٦ للأستاذ حامد عبد القادر ، ونشر بمجلة المجمع ج ١١ .

(٢) حروف تشبه الحركات . د. إبراهيم أنيس ، ونشرت بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٦ .

(٣) البحوث والمحاضرات دورة ٣٣ مجمع اللغة العربية : من دلائل القدم فى العربية د. عبد الستار الجوارى.

أن المصدر هو الأصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون على العكس يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر فرع عليه .

وحجة البصريين منها : أن الفعل يدل على الحدث والزمان ، فلو كان المصدر مشتقاً من الفعل لدل على ما يدل عليه الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث ، كما دلت أسماء الفاعلين والمفعولين على الحدث وعلى ذات الفاعل والمفعول ، فلما لم يكن المصدر كذلك علم أنه ليس مشتقا منه .

كما استدلوا على أن المصدر هو الأصل بتسميته مصدرًا ، والمصدر هو الموضع الذى يصدر عنه ، ... فلما سمى مصدراً دل على أن الفعل قد صدر عنه ، وكذلك احتجوا بأن قالوا : بأن المصدر يدل على زمان مطلق ، والفعل يدل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للقيد ، فكذلك المصدر أصل للفعل .

كما احتج الكوفيون بأدلة منها : أن المصدر يصح لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ، ألا ترى أنك تقول : قاوم قياماً ـ فيصح المصدر لصحة الفعل ، وتقول : قام قياماً ـ فيعتل لاعتلاله ، فلما صح لصحته واعتل لاعتلاله دل على أنه فرع عليه. كما تمسكوا بأن المصدر يذكر تأكيدا للفعل ، ولاشك أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد ، فدل على أن الفعل أصل والمصدر فرع[1] ... وهناك من الأدلة للفريقين غير هذا ، وأرجح رأى الكوفيين فى هذا النزاع مسترشدًا بما يلى :

١ ـ مايراه نفر من المستشرقين من أن أغلب الكلمات يرجع اشتقاقه إلى أصل ذى ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذوحرفين) وهذا الأصل فعل يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر ، فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة .

٢ ـ أن العقلية الفعلية قد ساد على اللغات السامية ؛ لأن لأغلب الكلمات فى هذه اللغات مظهرا فعلياً . ففى الساميات الفعل هو كل[2] شىء ، أما من ذهب

---

(١) الإنصاف لابن الأنبارى : مسألة ٢٨ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ ولفنسون .

إلى أن أصل المشتقات هو المصدر – فهو مذهب نشأ عن الفرس حيث بحثوا فى اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل فى الاشتقاق عند الآريين هو : المصدر – فعلماؤنا متأثرون ومقلدون .

وليس النزاع الذى ذكرنا طرفاً منه وحده فحسب ، بل وقع خلاف فى دوائر البصرة نفسها حيث قال جمهورهم : إن المصدر متى ثبت أنه أصل للفعل ثبت أنه أصل للمشتقات بالواسطة ، إذ المشتقات متعلقات بالأفعال ، ومتى ثبتت فرعية المتعلق ، ثبتت فرعية المتعلق به ، وقال جماعة منهم السيرافى : المصدر أصل للفعل ، ولكنه ليس أصلا للمشتقات ، بل الفعل هو الأصل للمشتقات ، إذ لا يلزم من كون الفعل متفرعاً عن المصدر ، أن تكون متعلقات الفعل متفرعة كذلك عن المصدر ، بل ينقل السيوطى عن طائفة من المتأخرين اللغويين بأن : كل الكلم مشتق ، كما نقل عن طائفة من أهل النظر أن : الكلم كله أصل !! وإذا كنا قد رجحنا رأى الكوفيين فلا زال الطريق شائكاً ، فأى الأفعال هى الأصل ؟ يذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن اسم الفاعل هو الأصل ، وبعضهم يذهب إلى أن صيغة الأمر هى أصل اشتقاق الأفعال . أما نحاة العرب فبعضهم يرى أن الفعل الماضى هو الأصل ، وبعضهم يرى أن فعل الحال هو الأصل ، وآخرون يرون أن فعل المستقبل ، إلى غير هذه الآراء . كما يرى بعضهم أن بدايات الفعل فى العربية إنما هى تطور من استخدام بعض صور اسم الفعل[1] ، أو أن الفعل إنما تطور عن كلمات استخدمت وقصد بها الاسم والفعل معاً ، ثم أخذ مدلول الفعل فيها يتحدد ، ويستقل بإضافة فكرة الزمن ، ويرى نفر من العلماء أن ننظر إلى (الجذر[2]) وهذا يحل مشكلة الأصل الاشتقاقى ، فمسألة الاشتقاق تقوم على مجرد العلاقة بين الكلمات واشتراكها فى شىء معين ، والقدر المشترك بين الكلمات المترابطة . وأصح ذلك هو الحروف الأصلية الثلاثة ، فأنت إذا

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته ١٢١ د. السامرائى .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ١٨٢ د. تمام حسان .

نظرت إلى : ضرب ضارب مضروب مضرب ضرب ، رأيت أنها تشترك فى (ض ر ب) وتتفرع منها ، فهذه الحروف الثلاثة جذور العربية التى تتفرع منها الكلمات . فالفعل واسم الفاعل واسم المفعول إلخ صور من صور التعبير الشكلى للمادة التى لا يصدق عليها وصف بالفعلية أو الاسمية .

وفى كتب العربية نجدهم يتوسعون فيشتقون من أسماء المعانى ، فلقد اشتقوا من أسماء العدد وهى أسماء معان جامدة ، فى المخصص[1] : كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم . كما اشتقوا من أسماء الأزمة فى اللسان[2] : وأخرف القوم ـ دخلوا فى الخريف . كما اشتقوا من أسماء الذوات : يديته : ضربت يده ، فهوميدى ، ويُدِىَ : شكا يده[3] ، ومن العجيب أن العرب قد اشتقت من الحرف ، ففى الخصائص[4] : سألتك حاجة فلوْليْتَ لى : أى قلت لى (لولا) فاشتقوا الفعل من الحرف المركب من (لو + لا) . ومعنى ذلك أن (الأصل) فى اللغة متعدد ، إذ قد اشتقت العرب من الأفعال ومن الأسماء الجامدة والمشتقة ومن الحرف .

وفى المشتقات تطالعنا أحوال عجيبة ، فقد نجد مصادر ولا أفعال لها ، كما أهملت بعض المفردات واستعملت جموعها ، كما استعملوا بعض المصغرات من غير أن يستعملوا لها مكبرًا ، كما روى عنهم أنهم أماتوا بعض المصادر . والحقيقة أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها ، وقد يسبق بعضها بعضاً فى الوجود ، ولهذا لا يمكن أن تكون الأفعال حين وجدت وجدت معها مشتقاتها ، فقد تعيش اللغة زمنا وليس بها إلا الفعل وحده أو المصدر وحده ـ حسب حاجة اللغة واستعمالاتها فى حضارتها وبداوتها .

ملحوظتان :

١ ـ إذا ترددت الكلمة بين أصلين فى الاشتقاق فالتمس ما يرجح أحدهما ، وله وجوه :

(ا) كون أحد الأصلين أشرف .

---

(١) ١٧ / ١٢٩ .
(٢) ١٠ / ٤٠٩ .
(٣) اللسان ٢٠ / ٣٠٣ .
(٤) ص ١ / ٤٣٦ .

(ب) كونه أخص فيرجع على الأعم .

(جـ) كونه أسهل وأحسن تصرفاً .

(د) كونه أليق .

٢ ـ قد يعرض للفرع المشتق مع الأصل المشتق منه تغييرات منها :

(ا) زيادة حركة كعَلِمَ من العلْم .

(ب) زيادة مادة : كطالب وطلب .

(جـ) زيادة حركة وحرف كضارب من الضرب .

(د) نقصان حركة كفرْس من الفرس .

(راجع القائمة فى المزهر للسيوطى [1]).

رسائل وقضايا حول الأصل الاشتقاقى :

هناك كلمات شائكة الدلالة ؛ لأن وجهات النظر تختلف فيها ، وأيسر شىء لدى اللغويين الاشتقاقيين أن يربطوا بين مواد لغوية زعموا أنها اشتقت منهـا ، وما ذلك إلَّا لأنهم فتنوا بالعربية حتى سمت على كل لغات البشر . وأما اللغات الأُخرى غير العربية « فإن القول بأن لها أى فضل يعتبر قولًا منبوذًا عنـد أهل الملل [2] »

ومن هذه الصيغ التى ردوها إلى العربية التى اشتقت منها :

(ا) « جَنَّات عَدْن [3] » فاشتقت من : عَدَنت الإبل بمكان كذا وكذا ، إذا ألفته ولزمته ، ومنل قيل لمعدن الذهب والفضة : معدن ، لأن جوهر الذهب والفضة يثبت فيه لكن الواقع أن (عدن) ورد ذكرها فى سفر التكوين [4] « وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقًا » فهى علم على مكان [5] وعن جويبر فى تفسيره المعرّب أنها بالرومية ، وقيل : بالسريانية وفسرت بالكروم والأعناب . [6] فكيف إذن تشتق (عدن) عند علماء العربية من (عَدَن) بالمكان ، إذا أقام وخلد به !

---

(١) ص ١ – ٣٤٩ .

(٢) كتاب الزينة لأبى حاتم الرازى ١ / ١١ .

(٣) سورة مريم : ٦١ ، وطه : ٧٦ .

(٤) الإصحاح الثانى : الآية ٨ – ٩ .

(٥) كتاب الزينة ٢ / ٢٠١ .

(٦) المتوكلى للسيوطى ٨ ، ٩ (ط دمشق ١٣٤٨ هـ) .

بل يذهبون أكثر من ذلك حيث يقولون : يَعدِن ويَعدُن : لغتان !! فالكلمة ليست عربية حتى يمكن ردها إلى أصل عربى .

(ب) من المعروف فى الدراسات اللغوية المقارنة أن السين فى العبرية والآرامية تقابلها الشين فى العربية ، وقد وردت (سكِّين) فى العبرية ، و (سكِّينًا) فى الآرامية ، والكلمة (سكِّين) دخيلة فى العربية ، انتقلت إليهـا من الآرامية بسينها ، ولو كانت الكلمة أصيلة فى العربية لقيل : (شكين) بالشين[1]

وعلى الرغم من أن الكلمة دخيلة إلَّا أن ابن جنى يشتق منها حيث يقول : « وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به[2] » .

ومن ذلك قول ابن جنى فى (المِسْك) بأنه فِعْل من « أمسكت الشىء ، كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسّة عليه ، ولا يعدل بها صاحبُها عنه[3] فابن جنى يشتق منه على الرغم من كونه فارسيًّا .

وإذا كان (الإريس) بمعنى الأكار ليست عربية فلا عبرة بالفعل (أَرَسَ) بمعنى : صار أكارا ، لأنه مشتق من الاسم المعرّب[4] .

ومن ذلك صيغة (ميناء) فقد خلطت المعاجم فى أصلها واشتقاقها ومدها وقصرها فبعضها ذكرها فى مادة (مون) أو (مين) لأن الميناء هو مرفؤ السفن حيث تموّن فيه .

واللسان يذكرها فى (وَنى) حيث يقول : وهو مفعال من الوَنَى ، وهو الضعف ، والفتور ، وكأن السفن تنى فيه ، أى تفتر عن سيرها ، والميناءُ يمد ويقصر كذلك . ويرى نفر من الباحثين أن كلمة (مينه) فى المصرية القديمة هى المرسى للسفن ، ورسمها الرمزى عندهم : مركب أو سفينة .

والحفريات والآثار تؤكد أن مصر أول أمة استخدمت الملاحة والنقل النهرى وإقامة المراسى على الشواطئ ، وما زالت حيث كانت تحمل السفن من مرساها

---

(١) نصوص فى فقه اللغة العربية ١ / ١٨٣ ، دكتور يعقوب بكر — هامش .
(٢) الخصائص ٣ / ٢٦٧ .
(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .
(٤) دراسات مقارنة فى المعجم العربى ٨٦ وما بعدها ، للدكتور يعقوب بكر (بيروت) .

الفول الذى تنتجه أرض الصعيد ، ومثلها كلمة (المنيا) فى الصعيد تحمل اسم : منية الفولى ، منيا القمح ، على بحر مويس ، أو بحر موسى فى الشرقية ، وكانت المرسى التى تحمل منه السفن محصول القمح فى الدولة القديمة فى : بوبسطه وصا الحجر[1] . فالكلمة ليست عربية ، ومن التعسف أن تردها المعاجم فى الاشتقاق إلى أصل عربى

(ج) وهناك صيغ كثيرة وقع فيها خلاف كبير حول الأصل الذى اشتقت منه ، لاسيما فى الألفاظ المعرّبة :

١ ـ فالمئزاب ، ومعناه بالفارسية : بُل الماء ، رأى يرى أنه من أصل فارسى ، ورأى يرى أنه من أصل عربى ، ومن دعاة العربيـة ابن فارس ، ومن دعاة الأصل الفارسى الأصمعى

٢ ـ إبليس ، أصله يونانى معرّب ، وبعضهم يرى أن الأصل عربى .

٣ ـ جهنّم ، عبرية الأصل ؛ وقيل : أصلها عربى[2]

٤ ـ خِوان ، فارسى ، وحكى عن ثعلب أنه قال وقد سئل : أيجوز أن يقال : إن الخوان سمى بذلك لأنا نتخوّن ما عليه ، أى نتنقّص ؟ فقال : مايَبْعد ذاك[3] .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى قول أبى بكر محمد السرى السراج فى رسالة الاشتقاق[4] ، فى (باب ما يجب على الناظر أن يتوقاه ويحترس منه) قوله : « ومما ينبغى أن يحذره (الناظر) غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشىء قد أخذ من لغة العجم ، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت » ، ويقول ابن جنى فى المحتسب[5] : « وإذا جاز للعرب أن تخلّط فى العربى وهو من لغتها فكيف يكون ـ ليت شعرى ـ فيما ليس من لغتها ؟! » .

---

(١) صحيفة الأخبار القاهرية (٣٠ مايو ١٩٧٣م) .
(٢) المعرب للجواليقى ١٠٧ (تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ دار الكتب المصرية) .
(٣) نفسه ١٢٩ .
(٤) ص ٣١ (ط . دمشق) .
(٥) ص ١ / ٨٠ .

والحقيقة أن دراسة (الأُصـول) تحتاج إلى معرفـة دلالات المـادة فى الساميات وتطورها ، والعرب لم يكونوا على معرفة كاملة لبعض اللغات السامية ، ولهـذا اسـتعانوا بالاشـتقاق لالتماس التخريجات لتلك الألفاظ ، وفسّروها كما لو كانت عربية محضة كما سبق .

(د) وهناك صيغ كان الأجدر بها أن تظل بمنأى عن فرع الاشتقاق ، من ذلك :

- قولهم فى الإتباع : شَيْطان لَيْطان ، وخَراب يَباب ، وحَسَن بَسَن ، ، وجائع نائع[1] . والغرض من هذا الإتباع تأكيد الكلمة الأولى عن طريق المجانسة الصوتية ، مع مخالفة فى بعض الحروف ، وقد سئل بعضهم عن ذلك فقال : هو شىء نَتِلُ به كلامنا ، أى نقوّى به كلامنا . ولكن نفرًا من اللغويين حاول جاهدًا أن يأتى (بأصل) للكلمة الثانيـة ، ويوضح اشتقاقها ، فليطان - من لاط بقلبى ياوط أى لصق ، كما حاولوا أن يجدوا أصلًا ومعنى لكلمة (بَسَن) وهو من : بَسَّس السويق[2] .

ومما يؤكد أن الكلمة الثانية لا معنى ولا اشتقاق لها ما جاء فى الجمهرة[3] « قال أبو بكر : سألت أبا حاتم عن (بَسَن) فقال : لا أدرى ما هو » وأبو حاتم بقوله : « لا أدرى » تخلص من التعسف ، وأمن العثار الذى تردى فيه آخرون حين أرادوا المخارج فوقعوا وأوقعوا فى المحارج .

٢ - بل حاول كثير من اللغويين أن يرجعوا أسماء الأشخاص والقبائل إلى أصول لمجرد الاشتراك فى الأصوات ، ومن هؤلاء ابن دريد فى كتابه (الاشتقاق) وإليك نماذج التقطناها من هذا الكتاب :

(ا) عَكّ - من قولهم : عَكَّ يومنا ، إذا اشتد حره[4] .

---

(١) المنصف لابن جنى ٢ / ٣٢٥ (ط . إحياء التراث) .
(٢) الكافى فى اللغة ٥٥ ، طاهر الجزائرى (ط . كردستان) القاهرة ١٣٢٦ هـ) .
(٣) ص ٣ / ٤٢٩ .
(٤) الاشتقاق ٢٨٧ (ط . وستنفلد) .

(ب) هُجَيْم – من قولهم : هجمت البيت ، إذا هدمته[1] .

(ج) هُذَيل – يقال : هَوْذَل الرجل ببوله ، إذا اضطرب بوله فقد هوذل[2]

ثم نراه يتخبط فى الاشتقاق ، ويكثر من الزعم كما فى حديثه عن (حمير)[3] مع أن لغة حمير مخالفة للغة مضر وربيعة ولا شك أن كثيراً من علمائنا حاولوا وتكلفوا وتسكعوا فى بُنيّات الطرق ، ذات اليمين وذات الشمال حتى ربما قالوا قولًا فى لفظ ،ثم قالوا خلافه فى نظيره[4]

(ب) الأصل التاريخى (٥) :

أشرت فى أول الكلام إلى الأُصول المتخيلة تلك التى أخذ بها علماؤنا الصرفيون ثم سرنا شوطًا طويلًا مع الأُصول والفروع فى كثير من أبواب الصرف والعربية ، والحديث الآن عن نوع جـديد وهو (الأَصل التاريخى) والهدف منه أن نقتفى آثار الصيغة فى أطوار حياتها ، وما أصابها عبر التاريخ ، وأرى أن البحث فى مثل هذا أجدى من حديث علماء الصرف فى الأُصول التى تخيلوها فى باب الإعلال وسأكتفى بمثل يسيرة :

١ – ذكر أبو الطيب اللغوى فى كتابه الإبدال أنه يقال : ولد فى الدّفْءِ . . وطيئ تقول : فى الدَّثَءِ – إذا ولد فى الشتاء وقبل الصيف . وأرجح أن الصيغة بالثاء أصل ، ففى اللغات العربية الجنوبية القديمة :دثأً – معناها الربيع أو محصولات الربيع ، وهو معنى (دِشْأ) و (ديش) فى الأكدية بمعنى العشب الكثيف . وفى العبرية (دِشْأ) بمعنى العشب الغض وفى أرامية العهد القديم والأرامية اليهودية (دِثْا) والثاء فى العربية تكون شيناً فى الأكدية والعبرية ، وتاء فى الأرامية[6]

---

(١) الاشتقاق ١٠٨ ، وانظر : مادة عكل وتميم ومهرة بن حيدان وعذره وكندة .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الاشتقاق ٣٠٦ .
(٤) انظر : المزهر ١ / ٣٥٣ ، ٣٥٤ حيث زعموا أن الثوب إنما سمى ثوبا لأنه ثاب ، أى رجع لباسا بعد أن كان غزلا .
(٥) انظر حديثا قيما فى : دراسات فى علم اللغة القسم الثانى ١١٣ فما بعدها دكتور كمال بشر ط دار المعارف بالقاهرة .
(٦) نصوص فى فقه اللغة العربية ٢ / ٢٩٤ ط بيروت . د . يعقوب بكر .

٢ – يقول السيرافى فى شرحه على الكتاب[1] « كلمة ست فى العدد أصلها سدس ودعاهم إلى ذلك كثرة استعمالهم إيَّاه فى كلامهم ، ولأَن السين مضاعفة وليس بينهما حاجز قوى ، والحاجز أيضًا مخرجه أقرب المخارج إلى مخرج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينًا فتلتقى السينات ، ولم تكن السين تدغم فى الدال لما ذكرت لك فأَبدلوا من السين أشبه الحروف بها من موضع لئلا يصيروا إلى أثقل ممَّا فروا منه إذا أدغموا ، وذلك الحرف التاء كأَنه قال : سِدْتُ – ثم أدغموا الدال فى التاء[2] .

أما النظرة الحديثة فترى أن الأصل : سدث – كما هى فى اللغات اليمنية القديمة والأَجريتية شبهت الدال بالثاء بالانقلاب إلى الهمس بدل الجهر ، وشبهت الثاءُ بالدال بالانقلاب إلى الشدة بدل الرخاوة فصار الحرفان تاءين وأُدغمت التاءُ فى التاء ، فالدال شديدة مجهورة والثاءُ مهموسة رخوة ، والتاءُ شديدة مهموسة فقلبت الدال تاءً لتتشابه مع الثاء فى الهمس ، وقلبت الثاءُ تاءً لتتشابه مع الدال فى الشدة .. والسين النهائية فى سادس كانت ثاء ... وقد قلبت سينًا لتتشابه مع السين الأُولى ، وكلاهما – مهموس رخو .

٣ – ورد عن أَبى عبيدة عن يونس : أن أَهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النبى عليه الصلاة والسلام ، والبرية ، والذرية[3] . وزاد ابن سيده كلمة أُخرى وهى : الخابية[4] فالعرب تركت الهمز فيها إلَّا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأَحرف ، ولابد قبل الحكم عليها من تحليلها : فالبرية : معناها الخلق وهى من برأ الله الخلق ، فأَصلها على ذلك الهمز ، وقد تأُخذ من البرى – وهى

---

(١) ٦ / ٥٩٣ مخطوط بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو .
(٢) انظر الكتاب ٢ / ٤٢٨ ط أولى .
(٣) إصلاح المنطق ١٥٩ .
(٤) المخصص س ١٧ / ١٥٣ ، س ١٤ / ٨ .

التراب ، فأصلها غير الهمز والياء أصلية[1] .

والنبي : أصله من النبأ وقد جمع على : نبئاء فأصله الهمز ، وينقل ابن سيده عن سيبويه قوله : وليس أحد من العرب إلّا وهو يقول : تنبأ مسيلمة . ولكن كيف يتفق هذا (أى أن الأصل فيه الهمز) مع ما روى من أن رجلًا قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا نبئ الله - بالهمز ، فقال له : لا تنبر باسمى : أى لا تهمز[2] ، وقد يكون الرسول إنما كره (النبئ) بالهمز ، لأنه توهم أنه من : نبأ من أرض إلى أرض ، والمعنى : يا من خرج من مكة إلى المدينة على غير وجه التكريم . على أن شبهات حامت حول هذا الحديث[3] ، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من ينشده :

يا خاتم النبئاء إنّك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

ولم يعترض على هذا . وفى شرح المفصل[4] : أن التخفيف لازم لكثرة الاستعمال بحيث صار الأصل (الهمز) مهجورا . وبعضهم يرى أنه من النباوة ، أى الرفعة ، فلا يكون على هذا أصله الهمز ولا تخفيف فيه ، ومن الذى أصله الهمز (الذرية) إذا أخذت من ذرأ الله الخلق ، فإن أخذت من الذرّ والياء للنسب ، فلا تكون الهمزة فيها أصلية[5] .

٤ - ترعة : الباب بالسريانية ، ثغر : أى فمّ ، واشتقاقه من : ثَغره يثْغَره بمعنى شقّه . وهما من أصل واحد فالثاءُ فى العربية تقابل التاء فى الآرامية والشين فى العبرية ، فالمادة العربية (ث غ ر) تقابل العبرية (شَ عَ رَ) ، أى باب والآرامية (ت ع ر) ومدلول المادة فى الساميات : الباب أو الفتحة أو الشق . وفى اللسان : (ترع) « إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة » حديث شريف . والترعة : الباب . والصيغة الآرامية تحولت بالقلب

---

(١) اللسان ١ / ٢٢ .
(٢) اللسان ٧ / ٤٠ .
(٣) الإتقان للسيوطى ١ / ١٠٠ ط حجازى .
(٤) انظر ٩ / ١٠٩ .
(٥) انظر المخصص ١٤ / ٨ ، اللسان ١ / ٣١ .

المكانى إلى (ت ر ع) ، وألحقت بهـا الفتحة الطويلة للتعريف فصـارت (ت ر ع ا) ، وفى العربية حسبنا أن الفتحة الأخيرة التى على العين هاء تأنيث وعاملناها على ذلك ، مع أنها فى الأصل علامة التعريف[1] .

٥ ـ ركْبة ـ نراها فى الأكدية birke ، وفى العبرية בֶּרֶךְ bérek ، وفى الآرامية burkā ، وفى الحبشية[2] berk لكن العربية آثرت الصيغة المقلوبة (ركبة) وهى الفرع ، وأعرضت عن الأصل (بركة) بدليل قولنا فى العربية (برك الجمل)[3] . ويلاحظ أن معرفة الأصل والفرع لا يكفى فيها فحص (المادة) وحدها كما تقدم من الأمثلة ، بل لابد من ملاحظة (الدلالة) وتتبعها على مدى التاريخ الطويل إذ المعنى عنصر أساسى عبر عنه الإنسان بهذه الألفاظ والأصوات .

فالاعتماد على المعنى فى معرفة الأصل والفرع ـ من الأهمية بمكان لا يقل ، إن لم يزد ، عن الاعتماد فى الاقتصار على معرفة الألفاظ والأصوات وحـدهما فى ذلك ، فالمعنى إذا كان عامًا مبهما كان ذلك دليلًا على أن اللفظ ضارب فى القدم سابق .

أما أنواع التخصص فى المـادة والتأنق فيها فى خيال الإنسان لمعنى لاحق ، وطور متأخر ، خذ مثلًا كلمة (اللبن) فتخيل الإنسان لها يجب أن يكون أقدم من تخيل الفروق بين أنواع اللبن ، من : السملج[4] (الحلو الدسم) والسامط (ذهبت عنه حلاوة الحليب ولم يتغير طعمه) والقوهة (تغير قليلًا وفيه حلاوة) والممحل (إذا أخذ شيئًا من طعم) والخامط (إذا أخذ شيئًا من رائحة) والهجيمسة (يحقن فى السقاء الجـديد ويشرب قبل أن يحمض) ومن ذلك أيضًا كلمة الخاثر ـ فهو أقدم من تخيل الفروق بين أنواع الخاثر من العكلظ أو العثلط (خثر جدًّا أو تكبد) والملهاج (لم تتم خثورته) ، والمبحثر (تحبب وانقطع) والهـ ادر

---

(١) علم اللغة بين التراث والمناهج ٨٧ د . محمود حجازى المكتبة الثقافية القاهرة .

(٢) التطور النحوى ص ٢٢ برجشتراسر .

(٣) يقول الأب أنستاس الكرملى : وقالوا : الركبة وكان الحق أن يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا عنها : برك ولم يقولوا : ركب . نشوء اللغة العربية ١٠٦ ط العصرية بمصر .

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٢٢ من مقال للدكتور محمد كامل حسين .

(خثر أعلاه وأسفله دقيق) والإدل (تكبد ولم ينقطع) والمذقر (الماء ناحية واللبن ناحية) والمطثر (علا زبده وخثوره) والهجيمة (الخاثر من لبن الشاة) والروب (الخاثر لم ينزع زبده) والمظلوم (ما يشرب قبل الروب) .

فكل هذه المعانى من تحصيص وتحديد وحضارة نشأت فى طور متأخر عن معنى (اللبن) وهو المعنى العام ، ولعل بعض المتخصصين والمتفننين فى صناعة الألبان كان يخفى عليه بعض هذه الأنواع للبن ، فقد حكى ابن خالويه عن نحوى بغيض كان يتكلم بالإغراب إلى بائع اللبن يريد لبنًا غليظًا فقال : يا لبّان ، أعندك لبن عثلط عبلط عجلط[1] ؟ فقال له اللبّان : تنصرف أو تصفع ؟ أو ربما بعضنا ممن نشأ فى المدن لا يعرف معنى كلمة (شرش) وهى نوع من اللبن أيضًا

وبهذا كله يكون فهمنا أكثر اتساقًا مع الواقع اللغوى ، واعتمادًا على التحليل العلمى ورعاية لظروف التطور التاريخى ، والساميات أخوات العربية

٦ – إن كثيرًا من الظواهر اللغـوية تسربت من الساميات إلى العربيـة ، ونعرض هنا ظاهرة واحدة تتصل بالأصل التاريخى لضمير المتكلم :

١ – فى كتاب تاريخ صنعاء لإسحاق ابن جرير الصنعانى[2] أن أم وهب بن منبه قالت لابنها : رَأَيْتُ بنحلم كولْدكُ ابنًا من طيب[3] .

٢ – وفى الجزء الثانى من الإكليل :

إنى سمعة (أو شمعة) بنت ذى مراثد كُنْتُ إذا وحمك[4]

٣ – روى الأصمعى ، قال الفرزدق :

---

(١) العثلط أو العكلط : ما خثر من اللبن أو تكبد

(٢) لوحة ١٦٧

(٣) الطيب : الذهب بالحميرية والمعنى : قالت : رأيت فى الحلم كأنى ولدت ولدا من طيب .
Rabin Ancient West Aralian p, 48.

(٤) والمعنى : كنت إذا اشتهيت .

رأيت أعرابيًّا بمكة ومعه عجوز وغلامان وهو يقول :

(أَنَّكَ وَهَبْكَ زائدًا ومزيدًا)[1]

والعجوز تقول : إذا شِئْتَ إذا شِئْتَ !

٤ – وروى أبو زيد : سمعت أعرابيًّا يقول لآخر : سُؤْكَ بك ظنًّا[2]

٥ – وروى ابن قتيبة[3] : أن سحيمًا عبد بنى الحسحاس الشاعر العربى المخضرم كان إذا أُنشد شعرًا جيدًا يقول أحسنتك[4] والله

٦ – يقول ابن جنى : وأنشدنا أبو على .

يابن الزبير طالما عَصَيْكا
وطالما عَنَّيْتَنا إلَيْكا ،
* لنضربَنْ بسيفنا قَفَيْكا[5] *

وفى نوادر أبى زيد[6] أن الأبيات لرجل من حمير وفى إبدال أبى الطيب[7] :

(وطالما دَعَوْتَنا إلَنْكَا)

أى دعوتنا

وتحليل هذه الشواهد :

(١) أن بعض اللغات السامية كانت تستخدم الكاف ضميرًا متصلًا للمتكلم المرفوع ، وقد بقى ذلك الاستعمال وعاش فى اللغات : الأكادية والحبشية والحميرية كما تصورها الكتب العربية وفى بعض لهجات جنوب بلاد العرب الحديثة ، كالمهرية والشحارية والسقطرية والبرتاحادية والحرسوسية ، وكذلك فى قضاء حراز غرب صنعاء ، وقضاء الطويلة شمال غرب صنعاء كما أن بعض الجماعات السامية الأخرى استخدمت الكاف ضميرًا متصلًا للمخاطب المرفوع قياسًا على كاف المتكلم ثم فرقت بينهما بالحركات فضمّت كاف المتكلم فى الفعل الماضى ، وفتحت كاف المخاطب .

---

(١) والمعنى : أنت وهبت زائدا ومزيدا ، وإذا شئت ، إذا شئت إبدال أبى الطيب ١ / ١٤١ .
(٢) والمعنى : سوّت .
(٣) الشعر والشعراء ٢٤١ .
(٤) يعنى : أحسنت (سر الصناعة ١ / ٢٨١) .
(٥) خزانة الأدب ٤ / ٤٢٨ (تحقيق عبد السلام هارون) .
(٦) ص ١٠٥ .
(٧) ص ١ / ١٤١ (تحقيق عز الدين التنوخى – دمشق) .

وبعض الجماعات السامية رأت أن هذه الكاف التى كانت تستخدم للمتكلم المرفوع تلتبس بكاف المخاطب فاستغنوا عنها ، واستخدموا التاء كضمير متصل مرفوع للمتكلم ، وحركوها بالضم للتفرقة بين المتكلم والمخاطب . أما العربية - فجانست بين المتكلم والمخاطب فاستخدمت التاء للمتكلم والمخاطب مضمومة للمتكلم ، ومفتوحة للمخاطب[1] .

(ب) ويعلل ابن جنى لذلك فيقول : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها فى الهمس[2] ، ويقول الأخفش : إن شئت قلت : أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها فى الهمس ، وإن شئت قلت : أوقع الكاف موقعها وإن كان فى أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية . وقال ابن هشام : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنما الكاف بدل من التاء بدلا تصريفيا[3] .

(ج) يرى بعض علمائنا المحدثين أن تعليل علماء العربية القدامى لوقوع الإبدال بين التاء والكاف غير صحيح ؛ إذ الكاف من أقصى اللسان ، والتاء من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، ولا نعرف فى الساميات التبادل بينهما[4] .

(د) أن الكاف هى الأصل فى تاريخ الجماعات السامية القديمة للمتكلم والمخاطب ، والدليل على ذلك أنه لو كانت التاء هى الأصل لافترضنا أنها قلبت كافا فى بعض اللغات السامية بغير علة مفهومة أما إذا كانت الكاف هى الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة وهو : أن التاء موجودة فى المخاطب فأدخلوها على المتكلم أيضا قياسا على المخاطب ، ويؤكد ذلك أن الكاف لا تزال على حالها فى بعض

---

(١) ضمير المتكلم المرفوع . د . خليل نامى - فصلة من مجلة كلية الآداب م ١٩ ج ١ .

(٢) سر الصناعة ٢٨١ .

(٣) الخزانة ٤ / ٤٢٩ .

(٤) دراسات فى اللغة العربية ٨٦ د . خليل نامى (دار المعارف) ولكنى أرى جواز التبادل بين التاء والكاف لاتحادهما فى الصفة وهى : الشدة والإصمات والانفتاح والهمس والاستفال ، وإن اختلفا مخرجا ، أما القول بالتبادل بينهما هنا بين الضميرين التاء والكاف فلا أراه لما سبق تعليله .

اللغات السامية[1] ، وأن الضمير الأصلى فى أقدم اللغات السامية هو (كو) ، وليس (تو) .

أما علماء العربية القدامى فيرون أن (التاء) هى الأصل ، وأنها قلبت كافًا ، وعذرهم فى ذلك أن الدراسات المقارنة لم تظهر فى زمنهم ، بدليل أنهم كانوا يصفون هذه الظواهر بقولهم : هى لكنة أجنبية !

٧ – ومن الأصول اللغوية التاريخية التى التى لم يحالف علماء العربية التوفيق فيها أنهم عندما وجدوا صيغًا مختلفة عن الفصحى من مثل : (هوىّ) بدلًا من هـ واىَ ، و (قفىّ) بدلًا من قفاىَ ، و (عَصَىّ) بدلًا من عصاىَ ، و (فتَىّ) بدلًا من فتاىَ ، و (بُشرىّ) بدلًا من بُشراىَ ، و (مَحيّ) بدلًا من محياىَ ، و (هدىّ) بدلًا من هداىَ فى لهجة هذيل عللوا ذلك بقولهم : إن الألف انقلبت إلى الياء فى لهجة هذيل .

وقد وردت للهجة شواهد شعرية كثيرة[2] وأيّدتها قراءات قرآنية[3] ، ولهذا يصفون هذه الظاهرة بالجواز مرة ، وبالحسن مرة أخرى[4] .

ومفاد كلام النحاة أن الألف هى الأصل القديم فى الكلمات السابقة ، وأن الياء تطورت عنها ، ولا نوافق النحاة على رأيهم لما يأتى :

١ – أن العكس هو الصحيح ، والياء هى الأصل التاريخى ، لوجودها فى كثير من الكلمات قبل أن تتطور تلك الياء إلى الألف ، ومما يؤيد ذلك أن بعض القبائل العربية كانت تقول : هذه أفعوْ ، وبعضها يقول : هذه أفعىْ ، وآخرون ينطقونها : أفعأ بالهمز[5] . ويؤكد ذلك ما روى عن

---

(١) الفلسفة اللغوية : جرجى زيدان ١١٨ هامش (دار الهلال) .

(٢) ديوان الهذليين ١ / ٢ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٧٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقى ١ / ٥ فما بعدها (والبحر المحيط ١ / ١٦٩ ، وحاشية الأمير على المغنى ٢ / ٩٧٠ ، وجمهز ابن دريد ٣ / ٤٨٨ ، والمحتسب لابن جنى ١ / ٤١٧ ، مخطوط بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير .

(٣) انظر : مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥ ، ٦٢ ، والبحر ٤ / ٢٦٢ ، ٥ / ٢٩٠ .

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٦ ط مكة ، وحاشية الصبان على الأشمونى ٢ / ١٨٥ (ط الميمنية) .

(٥) الكتاب ٢ / ٢٨٧ (بولاق) وشرح السيرافى على سيبويه ٥ – ٤٤٠ (مخطوط بالتيمورية رقم ٥٢٨ نحو وشرح الحماسة للمرزوقى ٨٢٩٢ ، والهمع ٢ / ٢٠٦ ، وشرح التصريح ٢ / ٣٣٩ ،

ابن عبَّاس رضى الله عنهما حين قيل له : إنى قتلت حيَّة وأنا محرم ، فقال : هل نهشت إليك ؟ قلت : لا ، قال : لا بأْس بقتل الأَفعوْ ، ولا برمىْ الحدوْ[1] .

وهذا هو الطور الأَول من أَطوار النطق والأَصل التاريخى له ، ثم تطور فى الفصحى إلى الألف فصار : أَفعَى ، عصَا ، قفَا ، فتَى . ومعنى هذا أَن الفصحى تخلصت من صوت اللين المركب Diphthong وهو au (أَوْ) و (ai) (أَىْ) إلى الفتح (a) .

٢ ـ أَنّ الصنمويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأَفعال مثل (بكَى ونجَى ، وأَتَى ورعَى وبنَى) ألفًا ، وإنما كانوا ينطقونها ياء فيقولون : بكْى ورعْى ، وأَتِى[2] . وهذا يؤكد أَصالة الياء[3] ؛ عكس ما رآه النحاة حين قالوا بأَصالة الألف .

(ج) فى تاريخ الصيغ :

أولا : إن اللغة العربية ليست بدعا بين اللغات ، فهى تتطور وتتغير بفعل الزمن على ألسنة المتكلمين بها ، وحسبنا أَن نثبت ذلك من خلال ما سمّى بصيغة (الافتعال) فهى تتأَثر بالأَصوات المجاورة لها ، لتيسير عملية النطق ، والدليل على ذلك :

(آ) أَن بعض العرب يقول : قد

---

(١) الفائق فى غريب الحديث ١ / ١١٩ جار الله الزمخشرى (دار إحياء الكتب العربية ط . أولى) .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٧ — ٢٥ د . جواد على .

(٣) والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم فى الحبشية الجعزية وهى لغة سامية ففيها : صحو تلو رمى فى: صحا وتلا ورمى وهذا هو الطور الأول أما الطور الثانى: فسكون هذه الحركة للتخفيف فى مثل : أفعى وقد تنبه إلى ذلك ابن جنى (فى الخصائص ٢ / ٤٧١ فما بعدها) هذا ومن الرجز الذى يصور الطور الثانى ما ورد فى (المحتسب ١/٦٨ بالتيمورية) من قول الراجز :

* إن لطى نسوة عند الغضى *
* يمنعهن الله ممن قد طغى *
* بالمشرفيات وطعن بالقنى *

وهذا الطور كان يشيع فى قبائل عربية قديمة (انظر : كتابنا اللهجات العربية فى التراث ٢—٤٩٨ ط تونس ، ومقالين أحدهما للدكتور رمضان عبد التواب ، والثانى لى فى الدورة ٤٦ لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة اللهجات والطور الثالث : تطور الحركة المركبة السابقة إلى حركة الإمالة أما الطور الأخير من تطور الأسماء المقصورة ، والأفعال الناقصة والجوفاء فهو التحول من الإمالة إلى الفتح الخالص فى العربية الفصحى .

اتغر ، وبعضهم يقول : قد اثغر ـ بالثاء[1] ، ولتكسير هـذا التطور نرى أن الأصل : اثتغر ـ اجتمعت والتاء وهما مهموسان ولا يجمع بين عاميتين متناقضتين ، إذ النطق بالثاء يقتضى الصفير ، وبالتاء يقتضى الانفجار ، فانتقل مخرج الثاء إلى التاء ، وبهذا اتحد الصوتان فى الشدة والمخرج والهمس ، فتم الإدغام ، وصارت (اتغر) بالتاء ، وذلك أيسر لأن فيها اقتصادًا فى الجهد العضلى . ويشبه ما سبق ما جاء عنهم من : أثئر واثئر[2] .

(ب) ما روى عنهم من قولهم : عليك بأبوال الظباء فاصّعطّها ، فإنها شفاء للمطحل[3] » . وقد اجتمع فى الصيغة صوتان مهموسان : الصاد والتاء ، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء فصارت « اصطعط » ثم زاد تأثر الطاء بالصاد فصارت « اصعطط

وهى أيسر ؛ لعمل اللسان فيها من وجه واحد ، فأوجد صيغة أيسر ، ومما يلاحظ أن بعض هذه الصيغ يمثل فترة زمنية أقدم من الصور الأخرى من ذلك :

صيغتان من صيغ الأفعال وردتا بصورتين مختلفتين وهما « اتفعل واتفاعل ، إلى جانب : اتفعّل واتفاعل . والصيغة الأولى هى القدمى ، وورد منها فى النصوص القديمة والتراث والقرآن الكريم الكثير من مثل قوله تعالى : « وما يتذكر إلا من ينيب » « ثم دنا فتدلى » فمن تصدّق به فهو كفارة له » « قالوا تقاسموا بالله » كما ورد من الصيغة الثانية وهى الأحدث قوله تعالى : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت » ، « بل ادّارك علمهم فى الآخرة » ، « اثّاقلتم إلى الأرض » بل إن الصيغتين القدمى والمتطورة نجدهما فى نص قرآنى واحد فى قوله تعالى : « ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ / ٢١٥ دار الكتب .

(٢) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٠ لابن جنى .

(٣) معانى القرآن ١٠ / ٢١٦ دار الكتب .

وذلك يؤكد أن التطور فى الصيغ لا يظهر فجأة ، ولا يقضى على القديم بين عشية وضحاها[1]

ومثل هذا التطور نلمحه فيما يروى من قراءات قرآنية : « وادّكر بعد أمة[2] » ، وقراءة الحسن بالذال[3] . وما : تدّخرون فى بيوتكم[4] » ، وقراءة أخرى « بالذال »[5] وما رواه الكسائى عن بعض العرب : « الطريق ياتَسق ويأتَسع[6] » ، وما روى عن الشافعى فى الرسالة[7] : وأخرى موتفقة ، وقوله وتختلف سننه وتاتفق[8] ، وقوله ايتفق القايسون فى أكثره[9] . وهذه الصيغ السابقة فى الفصحى نراها على الترتيب :

يتّسق ويتّسع ، متفّقة ، تتّفق ، اتّفق . وهى متطورة عن الصيغ القديمة السابقة ، وعلل بعض الباحثين[10] الصيغة التى أبدلت فيها الواو والياء — تاء بقوله : لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلها فكانت تكون بعد الكسرة ياء وبعد الفتحة ألفا ، وبعد الضمة واوا ، فلما رأوا مصيرها إلى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها — أبدلوا منها حرفا يلزم وجها واحدا — وهو التاء كما يلاحظ فى قانون التطور إنْ أثر الصوت الأول فى الثانى فالتأثر (مقبل) وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، كما قد يكون التأثر (كليا) أو (جزئيا). وقد يسميه بعضهم (تقدميا) أو (رجعيا)

---

(١) التطور اللغوى : للدكتور رمضان عبد التواب، مقال له فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٣٣ .
(٢) يوسف ٤٥ .
(٣) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٥ .
(٤) آل عمران ٤٩ .
(٥) تفسير الطبرى ٦ / ٤٣٦ تحقيق محمود شاكر .
(٦) سر الصناعة ١ / ١٦٥ .
(٧) ٢١١ .
(٨) الرسالة ٣١ ط أولى تحقيق الشيخ أحمد شاكر .
(٩) المرجع السابق ٤٧٩ .
(١٠) الجاسوس على القاموس ٥٣٥ ط الجوائب ١٢٩٩ .

وما سبق يؤكد لنا مسار الصيغ وتطورها بين الأجداد والأحفاد ، ويقوى منافذها ومسالكها بين السالفين والخالفين .

ثانيا ؛ ما جاء فى كلمة (الأم) وسأتجه فيها إلى القرآن الكريم وقراءاته :

(أ) فى قوله تعالى : ١ ـ وإنه فى أمّ الكتاب [1] » .

فى قوله تعالى ٢ ـ حتى يبعث فى أمها رسولا [2] .

« ٣ ـ فلأمه السدس [3] »

« ٤ ـ « فلأمه الثلث [4] » .

« ٥ ـ (من بطون أمهاتكم [5] ».

« ٦ ـ فى بطون أمهاتكم [6] » .

فى قوله تعالى ٧ ـ « فى بطون أمهاتكم [7] » .

« ٨ ـ « أو بيوت أمهاتكم [8] »

(ب) ومنه فى الأثر قول من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم (أوصى امرأً بإمه [9] . فقرأ الأخوان [10] ، وحمزة الكسائى [11] بكسر همزة (إم) وصلا ، كما كسر الهمزة والميم همزة فيا إذا أضيف إلى جمع ، وذلك فى آيات النحل والزمر والنجم والنور ، وكسر الكسائى الهمزة وحدها ، وذلك فى الوصل أيضاً [12] والسبب فى كسر الهمزة يرجع إلى ظاهرة المماثلة حيث وجدت الهمزة فى الآيات السابقة مسبوقة بكسرة أو ياء ، والياء من جنس الكسر ، فلو لم تكسر لصعب الانتقال من كسر

---

(١) الزخرف آية ٤ .
(٢) القصص آية ٥٩ .
(٣) النساء آية ١١ .
(٤) النساء آية ١١ .
(٥) النحل آية ٧٨ .
(٦) الزمر آية ٦ .
(٧) النجم آية ٣٢ .
(٨) النور آية ٦١ .
(٩) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ ـ ٦ دار الكتب .
(١٠) البحر ٣ / ١٨٤ .
(١١) إرشاد المريد على إبراز المعانى ٢٨٥ .
(١٢) النشر ٢ / ٢٤٨ .

وشبهه إلى ضم ، وهـذا معنى قول الفراء : « فاستثقل ضمة قبلها ياء ساكنة أو كسرة[1] » .

واشتراطهم حالة الوصل لكسر الهمزة يؤكد ظاهرة المماثلة عند هؤلاء القراء ، بدليل إن وقفت على حرف الجر ، ضممت الهمزة بلا خلاف ، إذ لم يبن قبلها ما يقتضى كسرها .

وقد نقل أبو جعفر النحاس حكاية عن سيبويه أن كسر الهمزة مما سبق لغة كثير من هوازن وهذيل[2] ، وقد أكد هذا العزو ـ أبو حيان إلا أنه عزا الرواية إلى الكسائى والفراء[3] ومن الثابت المقـرر أن هوازن مالت إلى عدم الانسجام[4] فى الضمائر ،فما بالها هنا مالت إليه ؟

وتخلصا من هذا التناقض أعرض اقتراحين :

أولهما : أن هوازن كانت فى الأصل حلفا ضم جملة قبائل مختلفة[5] مفرقة على وجه الجزيرة العربية ، ومادام الأمر كذلك فليس من العسير أن تختلف قبائلها المتناثرة فى هـذه الظاهرة . يؤكد هذا حكاية سيبويه فيما سبق وأنها « لغة كثير من هوازن » فيفهم من قيد الكثرة أن قلةً منهم كانت تتخالف لهجتهم مع ما عليه الكثرة .

ثانيهما : أن الكسائى سمع شيخاً من هوازن يقول : عليهُ مال ، وكان يقول : عليهم وفيهم وبهم « يضم الضمير[6] ويفهم منه ضمنا أن لهجة الأبناء فى هذه القبيلة كانت تجنح إلى المماثلة فى حين أن لهجة الأشياخ ـ الذين يؤثرون المحافظة ـ كانت تفر منها ، وإلا فما معنى التخصيص بسماعه من (شيخ) ؟ وهـذا يوضح لنـا مسار اللغـة

---

(١) معانى القرآن للفراء : ١ / ٥ ـ ٦ .
(٢) إبراز المعانى ٢٨٦ .
(٣) البحر ٣ / ١٨٥ .
(٤) اللسان ٢ / ٣٦٨ .
(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ / ٣٢١ .
(٦) اللسان ٢ / ٣٦٨ .

ومناخها بين الأجداد والأحفاد ، والسالفين والخالفين فى الظاهرة الواحدة .

(د) الأصل ومدى صلته بظاهرة الشذوذ :

على أن هذا الأصل التاريخى يمكن أن يتعرف عليه من خلال ما سماه علماء العربيـة (بالشاذ) تارة أو (الضرورة) تارة أخرى .

وقد جمعت قدرا صالحا من (الشذوذ الصرفى ، ومن الضرائر فيه ، لنرى فيهما الأصل الحقيقى لسير الصيغ ؛ كما نرى من خلال الصيغة معلة تارة أو مصححة أخرى أو مضطربة أحيانا . نرى ونلمس التدرج اللغوى صاعدا على سلم الارتقاء ، أو منحدرا متجمدا — يمثل بقايا مرحلة سالفة .

ولعل كثرة الشذوذ ، وتردد هذه الكلمة فى أبواب الصرف وغيره يرجع سببها إلى أن علماءنا القدامى كانوا يعتقدون أن العربيـة خلقت ففهموا أن كل تطور ينالها إنما ينشأ عن ضعف أو انحراف أو شذوذ — وليس كذلك ، إنما يمثل هذا الشذوذ مرحلة من مراحل حياة الصيغـة ، لم تتطـور تطـورا كاملا ، بل بقيت متجمدة فى إحدى مراحلها فوسمت بالشذوذ عندهم ، ولكن هذا الشذوذ منبهة على أصلها ودليل على أولية حالها ، وهو يشير إلى بقايا من تاريخ الكلمة لا يصح أن نهمله أو نظلمه بالحيف والجور لأنه يمثل بيئة لغوية ، وهذا المنهج الذى اتبعناه يخالف منهج الأقدمين الذين يرون أنه : لا ينبغى أن يلتفت إلى شواذ الأشياء (عبث الوليد للبحترى) ومثل ذلك ما جاء فى الاقتراح ، للسيوطى ص ٢٩ ط الثانية : « إن الشـاذ ونحوه يطرح طرحا ولا يهتم بتأويله » . والحقيقة التى عومل بها الشاذ أنه إذا كانت الشواهد عليه كثيرة وافرة — دخل فى اللغة الفصحى ، وإن كانت الشواهد عليه قليلة بقى شاذا دون أن يفتح له المشرعون مكانا فى كتب الصرف وغيره ، وأياما كان فالشاذ أقدم عهدا ، وأثبت نسبا من الصيغ الجارية على القواعد الصحيحة التى وضعها العلماء . والذى يهمنا فى هذه الدراسة ، وذلك المنهج الجديد أن نربط هـذه بين الشواذ بحيث

تتواكب وتتواخى فى سلم ارتقائى واضح مترابط ، إذ الثابت أن التطور حقيقة فى اللغات يميت صيغا وينشئ أخرى غيرها ، ثم تبقى بقايا لما أميت ، ومن النص الآتى يتضح هـذا : كلمة (مطلع) وردت بالكسر والفتح ـ والقياس الفتح (شرح السيرافى ، ٥ ـ ٢٧٩) أما قياس الكسر فهو أن يكون المضارع تطلع ـ بكسر اللام » وكان الكسائى يقول : هذه لغة ماتت فى كثير من لغات العرب ، يعنى ذهب من يقول : تطلع بكسر اللام ، وبقى مطلع ـ بكسرها فى الزمان والمكان على ذلك القياس (البحر ٦ ـ ١٦١) وصيغة الكسر مع أنها خارجة على قياسهم لكنها لهجة معترف بها فى تميم وقرأت بها القـــراءة فى (حتى مطلع الفجر) بالكسر .

وسأعرض أمثلة لما يسمى بالشاذ فى باب (الإعلال) وقوة دلالته على الأصل ، وعلى أولية الكلمة .

أولا : نوع أعل	وقياسه التصحيح	
مصائب	قياسه مصاوب	(لأن المد فى المفرد أصلى فلا يعل فى الجمع بالقلب همزة) .
معائش	وقياسه معايش	(لأن المفرد معيشة فالمد أصلى) .
ناقة عليان	قياسه علوان	(لأن الواو فى كل قلبت ياء ولم تقع بعد كسر) .
وصبية وصبيان	وقياسه صبوة	
من العلو والصبوة	قياسه صبوان	
ثِيرة جمع ثور	وقياسه ثِوَرة	(لعدم الألف بعد الواو فى الجمع)

طيال[1] جياد	وقياسه طوال وجواد	(لأن الواو أعلت فى الجمع مع أنها فى المفرد (طويل) ليست معلة ولا شبيهة بل متحركة
قرأ بعضهم :		
« للريّا تعبرون » بالتشديد	وقياسه للرؤيا	(بقلب الواو ياء مع أنها عارضة غير أصيلة)
أنا الليث معدّيا	وقياسه معدوّا	(لأن الماضى على فَعَل – بفتح العين فالواجب تصحيح الواو)
فما أرق النيّام إلّا كلامها	وقياسه النوام	(لأن الجمع على فعال والواو لاتقلب ياء فيه فتصح فيه الواو) .
اجلياذ	وقياسه اجلوّاذ	(لتشديد الواو) .
ديوان	وقياسه دوّان	(لتشديد الواو) وجمع ديوان – دواوين وداوين (إبدال أبى الطيب ٤٧٤/٢) ولعل هذا الجمع الأخير تجمد فى دور التهذيب .
داران هامان	وقياسه دوران / هيمان	(لأنْ فى آخر الاسم زيادة خاصة
جالان سالان	وقياسه جولان / سيلان	بالأسماء لكن أعلت شذوذًا) .
صيار وصيان[2]	وقياسه صوار وصوان	(لأن الواو وإن وقعت بين كسرة وألف لكنها ليست عين جمع بل هى عين مفرد)

---

(١) تبين لى أن القهاءة ذلة وأن أعزاء الرجا طيالها
(المفصل : ٣٨١)

كما وردت رواية أخرى (طوالها) ابن يعيش ١٠ / ٨٩ محقق .

(٢) صيار : القطيع من الإبل والشاء .
صيان : ما يصان فيه الثياب .

ثانياً : نوع (صحيح) وقياسه (الإعلال)

ثوب مَصْوون وقياسه مصون

ثوب مَخْيوط وقياسه مخيط

(والتصحيح جائز عند تميم

شاذ عند غيرهم)

خَوَنة وقياسه خان لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال .

جمع (خائن)

حَرَكة لعدم قلب الواو ألفاً مع استيفائها شروط الإعلال

جمع (حائك)

مَرْيَم وقياسه مرام استحقت الإعلال بالنقل لاستكمالها الشروط لكنها لم تعل .

جمع حاجة (حِوَج) وقياسه حيَج استوفت شروط الإعلال ولم تعل .

مِقْودة وقياسه مَقَادة[1]

مِكوزة وقياسه مَكازة

مدْين وقياسه مدان

مَوظَب

مَوْرَق } وقياسه كسر العين مثل : الموضع والموعد

موهَب

سقاية وقياسه سقاءة لأن الياء تطرفت حكماً بعد ألف زائدة والتاء غير لازمة ، ولم تقلب همزة ، والقياس سقاءة .

---

(١) ومن أمثال العرب (إن الفكاهة مقودة إلى الأذى) .
المنصف لابن جنى ١ / ٢٩٥ .

حَيِيَ . عَيِيَ	وقياسه حَايَ عايَ	يقتضى قلبها ألفاً . لأنه مضعف يائى فيه الياء الأُولى متحركة مفتوح ماقبلها . كما يقتضى قلبها ألفاً فى مضارعه . لأن كل أجوف من باب (فعل) بكسر العين قلبت عينة فى الماضى ألفاً تقلب عينه فى المضارع ألفاً مثل (خاف يخاف) فيقال (يَحَايُ يَعَايُ) ولكن لم يحدث ذلك .
المنائى[1] جمع منية	وقياسه المنايا	(الهمزة عارصة فالمفرد منية واللام معتلة فيجب قلبها ياء لاسيفائها شرط الإعلال) .
سمع من العرب خطائى	وقياسه خطايا	
قراءة بعضهم (إئلافهم)	وقياسه قلب الثانية ياء	(لأن الثانية ساكنة بعد كسر) .
قراءة بعضهم (أئمة)	وقياسه أءمة	(قلب الهمزة الثانية المكسورة ياء)
سواسوة	وقياسه سواسية	(الواو تطرفت بعد كسرة فتقلب ياء)
نوارا : مصدر نارت الظبية إذا نفرت	وقياسه نيار	
شوارا : شار الداية يشورها (بمعنى راضها)	وقياسه شيار	(استكملت شروط الإعلال ولم تعل بأن وقعت الواو عينا لمصدر وقبلها كسرة وبعدها ألف) .

---

(١) قال عبيدة بن الحارث فى يوم بدر :

فما برجت أقدامنا فى مكاننا ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا .

القصوى	وقياسه القصيا	(لأن الوار وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
الحلوى	وقياسه الحليا	(لأن الواو وقعت لاماً لفعل بالضم وصفاً)
يوم أيْوَم	وقياسه أيمّ	(حيث اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء
عوى الكلب عَوْية	وقياسه عيّة	(لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون ولم تقلب الواو ياء والقياس عيّة بقلب الواو ياء وإدغامها فى الياء).
	وسمع عَوَّة	(قلبت فيه الياء واوا ثم أدغمت الواو فى الواو عكس القاعدة)
رجاء بن حَيْوة	وقياسه حيَّة	(لاجتماع الواو والياء والأول منهما ساكن قال السيرافى ٤٢٧/٦ (نسختى) أظهروا الواو لأنه لا يتصرف تصرفاً نعلم به أن أصله واو) .
ضَيْوَن[1]	وقياسه صيّن	(لأن الواو والياء إذا اجتمعتا والأول منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء) .
راعة بعضهم « راضية مرضوّة وقياسه مرضية		لأن الواو وقعت لاماً لاسم المفعول الذى ماضيه على فعل ـ بالكسر .
استحْوذ ـ أعول ـ أغيلت المرأة ـ استروح صددت فأطولت	وقياسه استحاذ وقياسه أغال ـ استراح وقياسه أطال	اجتمع فيها شروط الإعلال بالنقل فالساكن الذى قبل حرف العلة صحيح ولم تكن الكلمة فعل تعجب . ولا مضعفة اللام ولا كانت اللام حرف العلة ولم تعل .

---

(١) ضيون : السور الذكر .

إعوالا ـ استحواذًا ـ إغيالا

شذ : الرّوح[1] وقياسه

الغَيَب[2] الإعلال

الخَوَل[3]

القَوَد

حيث استكملت شروط الإعلال .

وشذ (أرى عينى مالم ترأياه) جاء على الأصل المرفوض .

وشذ (فإنه أهل لأنْ يؤكرما) وقياسه : يكرما حذف الهمزة للاستثقال .

وشذ (حذف الفاء فى مثل يدع / يسع / يَطأ / يدر) وقياسه : يوسع ويوطأ وعدم حذفها لأن المضارع مفتوح العين .

الفك والإدغام :

شذ : لححت عينه (بفك الإدغام)

أَلل السقاء (تغيرت رائحته)

ضبب البلد (كثر ضبابه)

دبب الإنسان (نبت شعره فى جبينه)

صكك الفرس (اصطكت عرقوباه)

قطط الشعر (اشتدت جعودته)

كلها جاءت بإظهار التضعيف لبيان الأصل .

تَهْلَلٌ والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

مَحْبَب والشذوذ فيه إظهار التضعيف ، ولا يكون ذلك إلا مدغماً .

---

(١) الروح : الطيور المتفرقة عند الرواح .

(٢) الغيب : اسم جمع للغائبين .

(٣) الخول : الخدم .

١ ـ التثنية فى المقصود والممدود :

جملة ما شذ من المقصور ثلاثة أشياء :

١ ـ قولهم : مذروان والقياس بالياء

٢ ـ قولهم ؛ خوزلان : وقاس عليه الكوفيون .

٣ ـ قولهم : رضيان وقاس عليه الكسائى .

والذى شذ من الممدود خمسة أشياء .

١ ـ قولهم : حمراءان والكوفيون أجازوه كما حكى ابن النحاس .

٢ ـ قولهم : حمرايان وحكى أنه لغة فزارة .

٣ ـ قولهم ؛ قاصعان بحذف الهمزة والألف . وقاس عليه الكوفيون .

٤ ـ قولهم : كسابان وقاس عليه الكسائى ونقله أبو زيد عن لغة فزارة.

٥ ـ قولهم : قراوان بقلب الألف الأصيلة واوا .

٢ ـ شواذ التعجب والتفضيل :

تبنى صيغتا التعجب والتفضيل من : فعل ثلاثى مجرد تام مثبت متصرف قابل للكثرة ـ غير مبنى للمفعول ولا معبر عن فعله بأفعل فعلاء

ومن الشـــاذ : ما أُأتاه[*] للمعروف وما أعطاه للدراهم .

وما أعوره ، وما أحمره[**]

هـ و أحنك[1] البعيرين . وأقمن[2] به . وما أعســاه[3] وأعس به ، وما أقدر الله أن يدنى على شحط : لعدم قبول صفات الله الكثرة ، هو أزهى[4] من ديك ، وأشغل من ذات النحيين[5] (التصـــريح والهمع والأشمونى فى هذه الأبواب)

(*) ليس مجردا .

(**) معبر عن فاعله بأفعل فعلاء .

(١) اسم عين .

(٢) من وصف لا فعل له .

(٣) فعل جامد .

(٤) مبنى للمجهول .

(٥) مبنى للمجهول (شغل) .

٣ ـ شواذ النسب :

مما يحذف لياء النسب ياء فعيلة بشرط صحة العين وانتفاء تضعيفها : كحنيفة وصحيفة ـ تحذف منه تاء التأنيث أولا ثم تحذف الياء ثانيا ثم تقلب الكسرة فتحة : حنفي وصحفي « التصريح ٢ / ٣٣٠ » .

وشذ قولهم فى سليمة : سليمى وفى عميرة ـ كلب ـ عميرى وفى السليقة سليقى ، قال الشاعر

ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سَلِيقى أقول فأُعرب

فهذه الكلمات جاءت شاذة للتنبيه على الأصل المرفوض والقياس : سلقى مثل حنفى ولكنه جاء على خلاف القياس (الأشمونى ٤ / ١٨٦ ، والتصريح ٢ / ٣٣٠) .

(تعليق ونقد) :

١ ـ قد يجئ فى الباب الحرف ، والحرفان على أصولهما ، وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدل على أصل الباب (انظر : « استحوذ عليهم الشيطان » المجادلة ١٩) وأغْيلت المرأة (إذا أرضعت ولدها وهى حامل) وكذلك ، لححت عينه (لصقت)

٢ ـ المراد بالشذوذ ردّ إلى الأصل المرفوض (شواهد المغنى ١٧٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٢) وتفسير الشذوذ أن التصحيح هو الأصل والإعلال طارئ متأخر وتهذيب جاء فى اللغة ، أحالته الموسيقى اللفظية عن النطق السابق إلى الحاضر على نسق معين ، ولهذا يمثل الإعلال نهاية العمل المتكامل ، إذ العربية فى تاريخها الطويل كانت خاضعة لسنة الارتقاء وهى بين النقص الزيادة والتهذيب والتشذيب ، والهدف من الإعلال فى النهاية التخفيف ، ففيه النقل والقلب والحذف وسبيل ذلك التيسير .

٣ ـ ومما يؤكد أن مرحلة ما بين التصحيح (وهو الأصل) والإعلال (وهو الفرع) كانت للتنقيح والتهذيب وتصفية الصيغ ، أن الصيغ المصححة مثل : أعول ، وأغيل وأجود قد سمعت معلة على القياس إلا استحوذ ، واستروح المريح ، واغيلت المرأة

(أرضعت على الحبل) وإنما لم تعل هذه الأفعال بالنقل دلالة على أن الإعلال فى مثلها غير أصل .

٤ ـ أن علماء العربية كانوا يظنون أن الإنسان هو الذى يقوم بعملية التصحيح والإعلال فى اللغة ، فكثيرا ما تسمعهم يقولون « المنائى ـ بإبقاء الهمزة مع عروضها فى الجمع ، وكان القياس (المنايا) وأصله (المنبائى) بهمزة عارضة ثم تفتح الهمزة مع القياس فتنقلب الياء ألفاً فتصير (المناءا) ثم تقلب الهمزة ياء فتصير (المنايا) ولكنهم بعد عروض الهمزة كفوا أيديهم وعاملوها معاملة الهمزات الأصلية . وهذا غير صحيح ، لأن اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تأثير للفرد عليها

٥ ـ ويرى نفر من الباحثين وجها حسنا فى نفيه الشذوذ ـ عما يسمى بالشذوذ فى العربية . فيقول معلقا على الشذوذ فى اسم الآلة : المُسعط والمُنخل والمُدهن . . والحق أن هذه لألفاظ لم يذهب بها مذهب الفعل ، ولكنها كما قال سيبويه جاءت لتجعل أسماء لهذه الأوعية ، فالمكحلة ليست لكل ما يكون فيه الكحل ، ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة ، ولهذا جاز تغييرها عما جاء عليه قياس اسم الآلة .

كما نفى الشذوذ أيضاً حين قالوا بشذوذ (يدع ويذر) لأن القياس حذف الواو من المثال إذا كان فى المضارع على (يفعل) بكسر العين ، والنافى للشذوذ يرى أن أصل الفعل ـ يفعل ـ بكسر العين ، إذ القياس المخالفة بين الماضى والمضارع إلا أنها فتحت من أجل حرف الحلق .

كما نفى الشذوذ فى قولهم : أموى بالفتح فى أمية ـ بالضم ، وبَدوى : بالتحريك فى البدو . فأموى ـ جاءوا به على الأصل الأصيل ، إذ أمية تصغير (أَمَة) بفتح الهمزة ، وبَدَوى قياسه بَدْوى ـ بالسكون ـ وإنما فتح للازدواج مع نظيره (الحضرى) .

٦ ـ شأن الأعلام مثل (مريم . مدين وزجاء بن حيوة . . . .) المحافظة على صورتها الأصلية ولهذا لم يدخلها الإعلال (أى التهذيب والتنقيح) كما دخل غيرها

٧ ـ أن الصيغ الصرفية لم تخضع للقوانين ولم تخف من الحدود وإقامة السدود بدليل ما سبق من صيغ صححت والقياس فيها الإعلال ، وصيغ أخرى أعلت والقياس فيها التصحيح وصيغ يجب فيها حذف الهمزة فى التصريف فلم تحذف ، وصيغ جاءت بإظهار لتضعيف ، وقياسها الإدغام إلى آخر الشواهد والأمثلة السابقة .

٨ ـ ويرجع الشذوذ إلى أسباب ، كثيرة منها :

التوهم : ومن ذلك قول الشاعر

ولقـد رأيتك بالقوادم مرة
وعلىّ مِنْ سدف العشىّ رَياح

فالقياس رواح ـ لأنه من راح يروح لكنه لما كثر قلب هذه الواو فى تصريف هذه الكلمة ـ ياء ـ نحو : ريح ورياح ـ ومريح ومستريح ، وكانت الياء أيضاً عليهم أخف تدرجوا من ذلك إلى أن قلبوها فى (رَياح) مع زوال الكسرة التى توجب القلب وكأنهم توهموا أن الياء أصل فى ذلك .

ومن هذا ما يحكى عن عمارة بن عقيل من أنه قال فى جمع ريح ـ أرياح حتى نبه عليه فعاد إلى ـ أرواح . وكأن عمارة توهم فى أرياح ـ أصالة الياء . ومثل هذا التدرج من أرواح إلى أرياح ـ نمط من حياة اللغة وتطورها . ولهذا يقول السهيلى : إن ريحا وأرياحا ـ لغة لبنى أسد . وقال الخفاجى فى شرح بانت سعاد لابن هشام : من العرب من يقول : أرياح ، كراهة الاشتباه بجمع روح . ومثل هذا قولهم فى جمع عيد ـ أعياد ـ والواجب : أعواد . وإنما قالوا ذلك لتوهم أصالة الياء فى عيد ، ودفع الالتباس بجمع عود لو قيل : أعواد .

ومن هذا الضرب أيضا قولهم : ديمة وديم . وأصلها من الدوام ، وقالوا أيضا : دوّمت السماء ـ على الأصل ، وديمت ـ على توهم أصالة الياء ، وأنها ليست منقلبة عن واو ، وقد تجاوز هذا فقالوا : دامت السماء تديم ـ فمرد هذا إلى التوهم وهو مسئول عن خلق صيغ جديدة فى الحقل اللغوى .

وقد يرجع الشذوذ إلى الإتباع ، والمزاوجة فمن ذلك قولهم . هنأنى الطعام ومرأنى ، فإذا أفردوا قالوا : أمرأنى ، وفى الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . ومأزورات من الوزر وهو الذنب فأصله : موزورات . ومن ذلك قولهم : جاء فلان بالضّبيح والريح ، وأصله : بالضحّ أى بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، فقيل ، الضبيح للازدواج مع الريح (الاقتضاب ٢١٩) كما قد يكون سببه الضرورات الشعرية .

ونظرية الإتباع أو المماثلة أو التوافق الحركى قد لحظها القدماء من الصرفيين وعبروا عنها بالمناسبة فى مثل قولهم :

١ ـ مقام : أصلها مقوم ـ نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ألفاً لمناسبة الفتحة .

٢ ـ يستجيب : أصلها يستجوب (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الحركة المنقولة .

٣ ـ المستقيم : أصلها المستقوم (بكسر الواو) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح ثم قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة .

ولكن الصرفيين كان فى إمكانهم أن يستغلوا هذا العامل لحل مشكلات باب (الإعلال) إذ إن فهم عامل المماثلة يسهل عملية الإعـلال ويختصرها ، ويفسرها تفسيرا لا يخرج باللغة عن طبيعتها ،ولا يوقعنا فى متاهات وافتراضات للكلمة مثلا :

١ ـ سيّد وميّت : أصلهما : سَيْود وميوت . اجتمعت الواو والياء والياء ساكنة فقلبت الواو ياءً ثم أدغمت الياء فى الياء ـ للمماثلة .

٢ ـ آمنت : أصلها أأمنت . توالت همزتان وسكنت الثانية فقلبت مدة من جنس حركة الأولى للمماثلة .

٣ ـ حياض : أصلها : حِواض ، وقعت الواو عينا لجمع صحيح اللام بعد كسرة وبعدها ألف الجمع فقلبت ياءً لمشاكلة الكسرة أو للمناسبة

٤ ـ ميزان : أصله موزان ، وقعت الواو ساكنة بعد كسرة فقلبت ياء لمناسبة الكسرة

٥ ـ يوقن : أصله : يُيْقن وقعت الياء الساكنة بعد ضمة فقلبت واوا لمشاكلة الضمة قبلها :

٦ ـ سيق : أصله سُوِق . قلبت الواو ياء ثم قلبت ضمة السين كسرة لمماثلة الياء ..

ويستطيع الإنسان أن يأتى على أكثر باب الإعلال ، ويفسره هذا التفسير المادى اليسير بل يستطيع الباحث بشىء من التفحص أن يرجع كثيرا من الظواهر اللغوية إلى هذا العامل . وبهذا يمكن أن نستغنى عن كثير من قواعد الصرفيين فى باب الإعلال ونختصرها .

احمد علم الدين الجندى
الأستاذ بكلية دار العلوم والخبير بالمجمع